Dirasat: Shari'a and Law Sciences, Volume 49, No. 3, 2022

Deanship of Scientific Research

Islamic Faith and Philosophy in Durant's Encyclopedia "The Story of Civilization" - Critical Analytical Study –

Amer Salameh Falah Malahmeh *

Department of Fundamentals of Religion, College of Dawah and Fundamentals of Religion, The World Islamic Sciences and Education University, Amman, Jordan

Received: 16/11/2021
Revised: 14/2/2022
Accepted: 15/5/2022
Published: 1/9/2022

* *Corresponding author:*
d. amerm@hotmail. com

Citation: Malahmeh, A. S. F. (2022). Islamic Faith and Philosophy in Durant's Encyclopedia "The Story of Civilization" - Critical Analytical Study -. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, 49(3), 145–158.
https://doi. org/10. 35516/law. v49i3. 2229

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons. org/licenses/by-nc/4. 0/

Abstract

Objectives: This research deals with collecting and studying what Durant wrote about the origins of the Islamic faith, such as monotheism, fate, destiny, and prophecies, as well as philosophy, Sufism, and Islamic morals, in chapter 13 of "The Age of Faith for Civilization" in his encyclopedia "The Story of Civilization". The researcher traced what Durant wrote, about the Islamic faith and aimed to explain the mistakes that Durant faced when talking about Islamic faith issues, Islamic philosophy, and Sufism and discussing them.

Methods: The study used the analytical approach by analyzing Durant's texts regarding Islamic doctrine, Islamic philosophy and Sufism, as well as the critical approach of the similarities raised by Durant about it and showing their weaknesses.

Results: The study showed the appearance of Jewish influence in Durant's writings on the story of civilization, and the invalidity of what he said about the doctrines of Islam, as well as his statement that algebra is the doctrine of the Qur'an and the Sunnah, as well as the invalidity of his questioning the call of the Prophet - Muhammad (peace and blessings of Allaah be upon him) - and challenged him with most Muslim philosophers.

Conclusions: Studying the Encyclopedia of the history of civilization in most cognitive aspects, especially the legal ones, and revealing the errors and similarities contained in it.

Keywords: Durant; story of civilization, Sufism, philosophy, Doctrine.

العقيدة والفلسفة الإسلامية في موسوعة "قصة الحضارة" لديورانت - دراسة تحليلية نقدية –

عامر سلامه فلاح الملاحمة *

قسم أصول الدين، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن.

ملخّص

الأهداف: يهدف البحث إلى جمع ودراسة ما كتبه ديورانت حول أصول العقيدة الإسلامية، كالتوحيد والقضاء والقدر والنبوات، وكذلك الفلسفة الإسلامية والتصوف والأخلاق، في الجزء الثالث عشر والمسمى "عصر الإيمان للحضارة الإسلامية" من موسوعته قصة الحضارة، حيث تتبع الباحث ما كتبه ديورانت حول ذلك. كما يهدف إلى بيان أبرز الأخطاء التي وقع فيها ديورانت عند حديثه عن مسائل العقيدة الإسلامية، وعن الفلسفة الإسلامية والتصوّف ومناقشتها.

المنهجية: استخدمت الدراسة المنهج التحليلي من خلال تحليل نصوص ديورانت بخصوص العقيدة الإسلامية والفلسفة الإسلامية والتصوّف، وكذلك المنهج النقدي للشبه التي أثارها ديورانت حول ذلك وبيان أوجه ضعفها.

النتائج: أظهرت الدراسة ظهور الأثر اليهودي في كتابات ديورانت في قصة الحضارة، وبطلان ما ذكره حول عقائد الإسلام، وكذا قوله بأن الجبر عقيدة القرآن والسنة، وكذلك بطلان تشكيكه بدعوة النبي- محمد صلى الله عليه وسلم- وطعَنه بمعظم الفلاسفة المسلمين.

الخلاصة: دراسة موسوعة قصة الحضارة في معظم الجوانب المعرفية وخاصة الشرعية منها، والكشف عن الأخطاء والشبه الواردة فيها.

الكلمات الدالّة: ديورانت، قصة الحضارة، التصوف، الفلسفة، العقيدة.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- وبعد.

فإن محاولات الطعن والتشكيك في عقائد الإسلام قديمة حديثة، وها نحن أمام موسوعة احتوت على العديد من أوجه التشكيك؛ فعند تتبع الجزء الثالث عشر المسمى "عصر الإيمان للحضارة الإسلامية" من موسوعة قصة الحضارة لديورانت، نجد أنه تضمن العديد من الطعون في عقائد الإلهيات والنبوات عند المسلمين، فضلاً عن تشكيكه في صفو الأخلاق الإسلامية والتصوف، وافترائه العديد من المسائل في حق الفلاسفة المسلمين. من هنا قام الباحث بتتبع كل ما كتبه عن العقيدة الإسلامية في بابي الإلهيات والنبوات، وكذلك ما كتبه حول الفلسفة الإسلامية، والأخلاق والتصوف، ثم ناقشه بالأدلة مبيناً بطلان ما ذكره ديورانت.

أهمية الدراسة وأهدافها:

1. بيان أبرز الأخطاء التي وقع فيها ديورانت عند حديثه عن مسائل العقيدة الإسلامية ومناقشتها.
2. بيان أبرز الأخطاء التي وقع فيها ديورانت عند حديثه عن الفلسفة الإسلامية والتصوّف والأخلاق ومناقشتها.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تمثلت مشكلة الدراسة في الأخطاء التي وردت في موسوعة قصة الحضارة، والمتعلقة بالعقيدة والفلسفة الاسلامية، وأهم تساؤلات الدراسة:

1. ما أبرز الأخطاء المتعلقة بالعقيدة والفلسفة الإسلامية التي وردت في موسوعة قصة الحضارة؟
2. ما الأسباب التي أدت لوقوع ديورانت في ذلك؟
3. ما أثر اليهودية في إثارة مثل هذه الشبه والأخطاء؟

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية تتناول ما ذكره ديورانت في موسوعته قصة الحضارة، إلا دراسة واحدة، وهي بحث علمي محكم بعنوان (القرآن الكريم في موسوعة قصة الحضارة) للأستاذ الدكتور جمال أبو حسّان، المنشور في مجله الزرقاء للبحوث والدراسات الإسلامية، جامعة الزرقاء الأهلية،2015م. وتناول المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم. وأما هذه الدراسة فتناولت المسائل المتعلقة بالعقيدة والفلسفة الإسلامية والأخلاق والتصوف.

منهج الدراسة:

1. المنهج التحليلي: المتمثل بتحليل المادة العلمية.
2. المنهج النقدي: المتمثل بدراسة أقوال ديورانت وبيان أوجه ضعفها.
3. المنهج المقارن: المتمثل بالمقارنة بين أقواله هنا، وبين ما هو مقرر في مصادر الإسلام.

محتوى الدراسة:

التمهيد: أولاً: التعريف بالمؤلف ديورانت.

ثانياً: التعريف بموسوعة قصة الحضارة.

المبحث الأول: عقائد الإلهيات عند المسلمين في قصة الحضارة.

المبحث الثاني: عقائد النبوات عند المسلمين في موسوعة قصة الحضارة.

المبحث الثالث: الفلسفة الإسلامية والتصوف في قصة الحضارة.

المبحث الرابع: الأخلاق في الإسلام في قصة الحضارة.

النتائج والتوصيات:

تمهيد:

أولاً: التعريف بالمؤلف ديورانت.

بالرغم من البحث والعناية بترجمة المؤلف إلا أنني لم أجد الشيء الكثير عن حياته، فهو ويليام جيمس ديورانت (William James Durant)، مؤرخ وكاتب أمريكي، ولد في نورث آدمز الأمريكية سنة 1885م، وانتسب إلى كلية القديس بطرس في مدينه جيرسي، ثم إلى جامعة كولومبيا في نيويورك، وتلقى تعليما كاثوليكيّاً في المرحلتين الابتدائية والإعدادية في نيوجيرسي، ثم تحول إلى دراسة الفلسفة. وفي عام 1903م. بدأ بدراسة أعمال الفلاسفة، وبعد أن طاف أوروبا، بدأ في عام 1913م يلقي محاضرات مقابل 5-10 دولارات للمحاضرة الواحدة، ثم التحق ببرنامج الدكتوراه في الفلسفة في جامعه كولومبيا.

في عام 1927م بدأ رحلته الطويلة يطوف العالم، وفي عام 1930م زار مصر والشرق الأدنى والهند والصين واليابان. وفي عام 1932م عاد

فطاف العالم من جديد وركز اهتمامه على اليابان وسيبيريا وروسيا، ثم عاد الى مسقط رأسه متفرغاً للكتابة. وفي عام 1948م قضى ستة أشهر في تركيا والعراق وإيران ومصر يستعد فيها لكتابة المجلد الثالث (قيصر والمسيح). ووصل في الكتابة الى قصة الحضارة أيام نابليون، ولكنه توفي في عام 1981م فأكملت زوجته الموسوعة (ديورانت، 1992، ج1، ص 21. ويل ديورانت في ويكيبيديا: https://ar. m. wikipedia. org).

وزوجته هي ارئيل ديورانت (Ariel Durant) ولدت سنة 1898م لأبوين يهوديين في روسيا ثم انتقلت إلى نيويورك وشاركت زوجها في التأليف والتنقيح لموسوعة الحضارة، وتوفيت في سنة 1981م (ويل ديورانت، في ويكيبيدياhttps://ar. wikipedia. org /).

من أشهر مؤلفاته: مناهج الفلسفة، قصة الفلسفة، قصة الحضارة. وحصل على عدة جوائز منها، جائزة بوليتزر للآداب سنة 1968م، وقد أنعم عليه الرئيس الأمريكي فورد سنة 1977م بوسام الحرية، وهو أرفع وسام يقدم للمدنيين.

ثانياً: التعريف بموسوعة قصة الحضارة.

هي موسوعة تاريخية تتحدث عن قصة ابتداء الحضارات من حضارة الشرق الأدنى والهند، وكذلك الشرق الأقصى، وصولاً إلى عام 1800م. فكانت محاولة لسرد تاريخ البشرية، وعليه أصبحت هذه الموسوعة متداولة بين أيدي الباحثين، ومرجعاً في أخذ المعارف عن تلك الحضارات.

ولا ينكر أحد ما في هذه الموسوعة من فوائد، وجهد كبير، فاستغرق العمل ما يقرب من أربعين عاماً من سنة 1935م إلى 1975م، وترجم الموسوعة عدد من المترجمين، منهم محمد بدران، وزكي نجيب محمود.

وحول سبب تأليفه بهذا المنهج، قال: (لقد أحسست منذ زمن طويل بأن طريقتنا المعتادة في كتابة التاريخ مجزأً أقساماً منفصلاً بعضها عن بعض، يتناول كل قسم ناحية واحدة من نواحي الحياة؛ فتاريخ اقتصادي، وتاريخ سياسي...أحسست أن هذه الطريقة فيها إجحاف بما في الحياة الإنسانية من وحدة، وأن التاريخ يجب أن يكتب عن كل هذه الجوانب مجتمعة، كما يكتب عن كل منها منفرداً). (ديورانت، 1992 ، ج1، ص 16).

أما عن ابتدائه بحضارات المشرق، فيقول: (إن قصتنا تبدأ بالشرق، لا لأن آسيا كانت مسرحاً لأقدم مدينة معروفة لنا فحسب، بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية). (ديورانت، 1992، ج1، ص 17- 18)

وعند تتبع أقوال المؤلف حول مصادر الإسلام وعقيدته، فإنّنا نجد العديد من الأخطاء العظيمة.

المبحث الأول: عقائد الإلهيات عند المسلمين في قصة الحضارة.

لقد تعرض ديورانت للعديد من مسائل العقائد عند المسلمين في الإلهيات، ووقع في أخطاءٍ شنيعةٍ، ومن ذلك:

المطلب الأول: التوحيد بين اليهودية والإسلام.

لقد ساوى ديورانت بين صورة التوحيد في الإسلام واليهودية، متجاوزاً كل صور الشرك في التوحيد عند اليهودية، فيقول: (غير أن المسيحية قد أضافت إلى هذه العقيدة أن الله الواحد يظهر في ثلاثة أقانيم مختلفة، أما اليهودية والإسلام فتريان أن هذا الاعتقاد ليس إلا شركاً مقنعاً، وتعلنان وحدانية الله بأقوى الألفاظ). (ديورانت، 1991، ج13، ص 53). والدليل على فساد مقولته، الآتي:

1. بينما نجد القرآن الكريم يقرر وحدانية الله ذاتاً وصفات وأفعالاً، قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) سورة محمد، آية19، نجد طلب اليهود صراحة بأن يعمل لهم موسى صنماً، قال تعالى: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَة) الأعراف، آية 138. (الخطيب، 2009، ص102). وورد في سفر الخروج ما يكشف الوثنية في قلوبهم: (وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا). (الإصحاح 32: 1)

- بينما نجد صفات الله جل جلاله في الإسلام تنطلق من منطلق التنزيه والكمال، قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) سورة الشورى، آية 11. نجد حديث التوراة والتلمود قائماً على التجسيم والنقص. ورد في سفر التكوين: (فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ). (الإصحاح 32: 24- 26) ويقصدون بذلك مصارعة يعقوب للرب.
- إنكار القرآن الكريم لعقائد اليهود، ومصادرهم التي حرفوها، قال تعالى: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) سورة النساء، آية 46.

وقال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) سورة التوبة، آية 30. فأين المشابهة التي ادعاها ديورانت بين توحيد الإسلام وتوحيد اليهودية؟

المطلب الثاني: تصوير ديورانت لعقيدة الجبر في الإسلام.

ادعى ديورانت أن القرآن والسنة وكبار علماء الكلام في الإسلام تبنوا عقيدة الجبر، فيقول: (وهذا الإيمان بالقضاء والقدر جعل الجبرية من المظاهر الواضحة في التفكير الإسلامي، وقد استعان بها النبي وغيره من الزعماء لبث الشجاعة في قلوب المؤمنين عند القتال؛ لأن ساعة الموت لا يقدمها خطر ولا يؤخرها حذر. . . ولكنها أيضاً كانت من الأسباب التي أعاقت تقدم العرب وعطلت تفكيرهم في القرون المتأخرة). (ديورانت،1992، ج 13، ص 55). ويقول: (وقد آمن أبو الحسن إيماناً قوياً بمبدأ الجبرية). (ديورانت،1992، ج 13، ص 203) لم يكن ديورانت منصفاً في اعتباره

القرآن والسنة مصدر الجبر، فأين ديورانت من قوله تعالى:(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)البقرة، آية 286. (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) فصلت، آية 17. (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) الشمس، آية 9.

فهذه نصوص القرآن التي تثبت للعبد حرية العمل، فالجبر لا يتفق ومسألة تكليف العبد. ولم يقل بالجبر الذي ادعاه ديورانت إلا فرقة (الجبرية/المجبرة)، يقول الإمام الشهرستاني: (الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة، هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلاً). (الشهرستاني، 1968، ج1، ص85)

وقد أنكرت الفرق الإسلامية على الجبرية معتقدها هذا، فهو أصلٌ مذهبيٌ وليس أصلاً دينياً كما أدعى ديورانت، فقوله إن عقيدة الجبر عاقت العرب وتفكيرهم لقرون، قول باطل؛ لأن إنجازات المسلمين شاهدة على بناء الحضارة منذ القرن الأول الهجري.

يقول د. عبد الحميد مدكور:(فالانصراف إلى العمل والاجتهاد فيه يمثل اتجاهاً عملياً واقعياً لحل المشكلة، لأن العمل -في ذاته- دليل صادق على تحقق الإرادة الإنسانية، والعامل يرى نفسه تحقق وجودها تحقيقاً واضحاً يدل على نية وإرادة وقدرة ونصيب ملموس من الحرية). (مدكور،2000، ص321)

وما ذكره عن أبي الحسن الأشعري وإيمانه بالجبر، فهذا جهل منه بمذهب الأشعري، لأن الأشعري يرى أن الله خالق للفعل، والفعل إنما يقع بكسب الإنسان. يقول ابن فورك موضحاً لمعتقد الأشعري في ذلك: (وكان يذهب في تحقيق معنى الكسب والعبارة عنه إلى أنه ما وقع بقدرة محدَثة. . . ووقوعه من المُحدَث بقدرته المُحدَثة اكتساباً). (ابن فورك، مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ص 92)

المطلب الثالث: تصوير ديورانت لموقف الإسلام من السحر.

صور ديورانت موقف الإسلام من السحر تصويراً مخالفاً لما هو مقرر في أصول الدين، فيقول: (إن معظم المسلمين يؤمنون بالسحر، وقلّما يشكون في قدرة السحرة على التنبؤ بالغيب والكشف عن الكنوز المخبوءة...وشفاء المرضى...وتلك العقائد هي المحور الذي تدور عليه قصص ألف ليلة وليلة). (ديورانت، ج13، ص 128)، ويقول: (ويلبس معظم المسلمين كما يلبس نصف المسيحيين تمائم لترد عنهم ضُروباً مختلفة من الشرور). (ديورانت،1992، ج13، ص128).

وهذا خطأ كبير وقع به، وهو يعلم أن الإسلام نهى عن السحر والشعوذات والكهانة والعمل بها، وعدّ الإسلام السحر من المهلكات والكبائر، فكيف يفتري كذباً بأن المسلمين، وقلّما يشكون في قدرة السحرة على التنبؤ بالغيب؟ قال تعالى: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) سورة البقرة، آية 77. وقال تعالى: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) النحل، آية 69.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ). (صحيح البخاري، كتاب الوصايا، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}، ح رقم 2766)

أما بخصوص التمائم وهي ما يعلق في رقاب المرضى والصبيان والنساء من ورق وحجارة لدفع الأذى والسحر. فالنبي- صلى الله عليه وسلم- أذن بالرقى الشرعية، لكن لم يرخص في رُقى وتمائم الجاهلية؛ لأنها تتضمن الشرك، فجاء في الحديث الشريف: (عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: (اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ). (صحيح مسلم، كتاب السلام، بَابُ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ، ح رقم 2200)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، نَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، نَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ، عَنِ ابْنِ أَخِي زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ قَالَتْ: قُلْتُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ وَاللهِ لَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ، فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِينِي، فَإِذَا رَقَانِي سَكَنَتْ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ، كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ، فَإِذَا رَقَاهَا كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا. » (سنن أبي داود، كتاب الطب،بَابٌ: فِي تَعْلِيقِ التَّمَائِمِ، ح 3883. / مسند أحمد، ح 3615). كل هذا يُبطل مقولة ديورانت في المسألة.

المبحث الثاني: عقائد النبوات عند المسلمين في موسوعة قصة الحضارة.

تعرض ديورانت في موسوعته للعديد من المسائل المتعلقة بنبوة سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- محاولاً التشكيك بها.

المطلب الأول: ادعاء ديورانت بالأثر اليهودي والنصراني في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

صرح ديورانت في العديد من المواضع بأن النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- قد التقى باليهود والنصارى وأخذ عنهم، فقال: (وتقول إحدى الروايات إن عمه أبا طالب أخذه معه، وهو في الثانية عشرة من عمره في قافلة إلى بصرى ببلاد الشام، وليس ببعيد أن يكون قد عرف في هذه

الرحلة قليلاً من القصص الشعبية اليهودية والمسيحية). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 22)

ويقول: (وكان في بلاد العرب كثيرون من المسيحيين، وكان منهم عدد قليل في مكة، وكان محمد عليه الصلاة والسلام على صلة وثيقة بواحد منهم على الأقل هو ورقة بن نوفل ابن عم خديجة الذي كان مطلعاً على كتب اليهود والمسيحيين المقدسة). (ديورانت، 1992، ج13، ص 23)

ويقول: (وكثيراً ما كان محمد يزور المدينة التي مات فيها والده، ولعله قد التقى هناك ببعض اليهود وكانوا كثيرين فيها، وتدل كثير من آيات القرآن على إعجابه بأخلاق المسيحيين، وبما في دين اليهود من نزعة إلى التوحيد). (ديورانت،1992، ج13، ص 23)

ومن أخطر أقواله في المسألة: (ولعله قد بدا له أن ما يسود جزيرة العرب من شرك، ومن عبادة للأوثان، ومن فساد خلقي، ومن حروب بين القبائل، وتفكك سياسي، نقول لعله قد بدا له أن حال بلاد العرب إذا قورنت بما تأمر به المسيحية واليهودية حال بدائية لا تشرف ساكنيها. ولهذا أحس بالحاجة إلى دين جديد...ولعل هذه الأفكار نفسها قد طافت بعقل غيره من الناس، فنحن نسمع عن قيام عدد من (المتنبئين) في بلاد العرب في بداية القرن السابع). (ديورانت،1992، ج13، ص 23-24)

إن ما يذكره ديورانت هنا يكشف عن موقفه من نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- حيث عدّ نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- إحياء لأحكام وعقائد النصرانية واليهودية، بل والأخطر من ذلك أنه يعدّ نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم -ليست اصطفاءً من الله عز وجل، وقال إن فكرة النبوة طافت بعقل النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من المتنبئين، فإن كان يقصد ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وزيد ابن عمر بن نفيل، فهؤلاء لم يدعوا النبوة، ولا الوحي. وأما من ادعّى النبوة بعد وفاة النبي- صلى الله عليه وسلم- فكيف يساوي بين نبوة محمد- عليه الصلاة والسلام- وكذب مسيلمة الكذاب؟ فهل هذا الخطأ من ديورانت يُغتفر ويعذر بالجهل؟ بل هذا مردود بشهادة الله، قال تعالى:(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) النحل، آية 103. وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) الشورى، آية 52. فهذه شهادات من رب العالمين على صدق دعوته صلى الله عليه وسلم.

فلقاء النبي- صلى الله عليه وسلم- بورقة بن نوفل كان من خلال خديجة، وبعد نزول الوحي، يقول العيني:(حَتَّى أَتَت بِهِ ورقة بن نَوْفَل بن أَسد بن عبد الْعُزَّى ابْن عَم خَدِيجَة وَكَانَ امْرأ تنصر فِي الْجَاهِلِيَّة وَكَانَ يكْتب الْكتاب العبراني فَيكْتب من الْإِنْجِيل بالعبرانية مَا شَاءَ الله أَن يكْتب وَكَانَ شَيخا كَبِيرا قد عمي) (العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص46). ثم إن الوحي استمر بعد وفاة ورقة. وقد ذكر مسلم في صحيحه قصة نزول الوحي. (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، ح 160)

أما راهب الشام فلم يجلس معه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه. (البوطي، 1991، ص 48) والقصة وصفها كثير من العلماء بالنكارة والوضع. (العمري، 1994، ص 106- 111) هذا ولو سلمنا جدلاً بها فهل أخذ عنهما النبي أحكام هذا الدين وعقائده ومصادره بجلسة واحدة وكان عمره اثنتي عشرة سنة؟ إنه محض افتراء من ديورانت، ومحاولة للتشكيك بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وأخيراً إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عنهما، فكيف جاءت نصوص الآيات والأحاديث في الإنكار على عقائد اليهود والنصارى، والإشارة إلى وقوع التحريف في مصادرهم.

المطلب الثاني: النبوة وصفات النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- في قصة الحضارة.

لقد تعرض في عدة مواضع للحديث عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم، وحاول الإساءة والنقد، ومن ذلك قوله: (وكان قلقاً عصبيّ المزاج، يُرى أحياناً كاسف البال، ثم ينقلب فجأة مرحاً كثير الحديث). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 45)

ويقول: (وكان أتباعه يجمعون بصاقه، أو شعره بعد قصه، أو الماء الذي يغسل به يديه، لاعتقادهم أن هذه الفضلات شفاء لهم). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 46) ويقول: (ولكن احترامهم إياه- يقصد احترام المسلمين للنبي- لا يقل عن احترام النصارى للمسيح). (ديورانت، 1992، ج13، ص 116)

إنّ احترام المسلمين للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- يخالف احترام النصارى لعيسى- عليه السلام- فبينما كان احترام النصارى لعيسى- عليه السلام- احتراما لجزء من الألوهية، حيث تعتقد النصارى بألوهية المسيح والتثليث، نجد احترام المسلمين للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- احترام المقر بنبوته والمصدق بمبعثه وأنه مبلغ عن الله تعالى، وخير دليل على ذلك هو قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ). (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللهِ {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ}، ح رقم 3445)

وأما ما ذكره بشأن صفات النبي- صلى الله عليه وسلم- من العصبية في المزاج، والكآبة، فهذا قول من أراد تحويل الوحي إلى حالة من الصرع والمرض النفسي. بل صفاته- صلى الله عليه وسلم- على خلاف ما افترى ديورانت، فلم يكن نكداً ولا كئيباً، بل كان غاية في البِشر، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ الْحُسَيْنُ: سَأَلْتُ أَبِي، عَنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمَ الْبِشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ، وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مُشَاحٍ). (الترمذي، الشمائل المحمدية، باب ما جاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح 346)

المطلب الثالث: الوحي للنبي- محمد صلى الله عليه وسلم- في قصة الحضارة.

إن حديثه السابق عن مصدر نبوة سيدنا- محمد صلى الله عليه- وسلم إشارة إلى نفي الوحي، ومن أبرز الأخطاء الواردة في حديثه، قوله: (ولما سُئل كيف يتذكر هذه الأقوال القدسية، قال: إن جبريل كان يطلب إليه أن يكررها كلمة كلمة). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 26)

ويقول: (ويعتقد بعض المسلمين أن عدة أولئك الرسل ٢٢٤٠٠٠، ولكن يبدو أن محمداً كان يرى أن إبراهيم وموسى وعيسى، هم وحدهم الذين نطقوا بكلمات الله، ولهذا فإن على المسلم أن يؤمن بالتوراة والإنجيل، ويعتقد أن ما ورد فيهما من وحي الله، فإذا ما اختلفا عن القرآن في شيء فعليه أن يعتقد أن سبب ذلك ما حدث فيهما من تغيير متعمد أو غير متعمد). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 116)

ويقول حول السنة النبوية: (وبهذه الطريقة تجمعت طائفة من السنة الشفوية إلى جانب القرآن شبيهة بالمشنا والجمارا اللذين تجمعا حول التوراة). (ديورانت، 1992، ج13، ص 118)

إن ما ذكره ديورانت بخصوص أخذ النبي للوحي غير صحيح، فلم يكن جبريل يطلب من النبي أن يكرر الآيات حين يلقيها إليه، بل على النقيض من ذلك، جاءت الآيات الكريمة تنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التكرار وراء الوحي، وتعهد الله بحفظه في صدر النبي- عليه الصلاة السلام- قال تعالى:(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) سورة القيامة، آية 16. (أي أن الْعذْرَ فيه خوف النسيان، فَكَأَنَّهُ قيل له: إِنَّك إِذَا أَتَيت بِهَذَا الْعُذْر لَكنكَ تَعلم أَنَّ الْحفْظ لا يحصلُ إِلَّا بتوفِيق اللَّهِ وَإِعانَته فَاترك هذَا التَّعْجِيلَ وَاعْتَمد على هِدَاية اللَّه تَعالى). (الرازي، 1420، ج30، ص727)

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، «فِي قَوْلِهِ: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ الْآيَةَ الَّتِي فِي: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} قَالَ: عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ، وَقُرْآنَهُ {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ، {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ. قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ). (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}، ح 4929)

ثم إن قوله بأن بعض المسلمين يعتقد أن عدد أولئك الرسل ٢٢٤٠٠٠، فهذا كلام باطل؛ وذلك لأن الحديث الوارد بأن عدد الأنبياء وليس الرسل 124000، وليس 224000 هو حديث ضعيف جداً، كما حكى ذلك أحمد شاكر، وبين أن فيه راوياً مجهولاً، وآخر متروك. (مسند أحمد، ح 21546/22288)

وما أشار إليه من أن السنة الشفوية إلى جانب القرآن شبيهة بالمشنا والجمارا، فقد أراد منه أن يجعل المشنا والجمار وحياً مساوياً للسنة النبوية، ولكن هل الجمارا والمشنا وحي من الله تعالى؟

المشناة (التكرار) هي مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة مع بعض الآيات من الكتاب المقدس، واليهود يزعمون بأن هذه التقاليد أعطيت لموسى حين كان على الجبل، ثم تداولها هارون ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت إلى الأعضاء حتى جمعها الحاخام يهوذا وكتبها. (قاموس الكتاب المقدس،2005، ص222 بتصرف)

والجمارا: (التفسير) وهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في المدارس العالية. (قاموس الكتاب المقدس، 2005، ص222) وكتابة المشناة لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد بزمن طويل، وكانت تروى بلا رقيب. (الخطيب، 2009، ص ١٠٧) فهل التقاليد اليهودية وشروحات المدارس وحياً؟

كيف يساوي بين تفاسير أحبار اليهود التي كانت تختلف وتتناقض، وبين السنة النبوية التي كانت وحياً من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. ثم تتابعت شروحات التلمود من الجمارا إلى ملاحق الجمارا، وهي ملاحق الشروحات على ما كان فيهما وفي أصلها من المخالفات للعقائد والشرائع.

المطلب الرابع: الإسراء والمعراج في قصة الحضارة.

لقد حاول ديورانت التشكيك في معجزة الإسراء والمعراج معتبراً أنها ضرب من الخيال، فيقول: (وخيل إليه في ذات ليلة أنه انتقل من نومه إلى بيت المقدس، حيث رأى في انتظاره عند المبكى من أنقاض هيكل البراق، وهو جواد مجنح فطار به إلى السماء، ثم عاد به منها، ثم وجد النبي نفسه بمعجزة أخرى آمنا في فراشه بمكة. وبفضل هذا الإسراء أصبحت بيت المقدس ثالثة المدن المقدسة عند المسلمين). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 30) فيكرر ديورانت كلمة (خُيل)، ولعله يريد اعتبار نبوة سيدنا- محمد صلى الله عليه وسلم- ضرب خيال. إن ما اعتبره ديورانت خيالاً، ذكره الله تعالى في كتابه، قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ). فالآية تشير إلى الجسد (بعبده) وجاءت الأمارات واضحة على ذلك (ما زاغ البصر)، شرب اللبن، الصلاة بالأنبياء، يقول الإمام النووي: (والحق الذي يدل عليه

أكثرُ الناسِ. . . وعامة المتأخرين الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده- صلى الله عليه وسلم- والآثار تدلُ عليه لمن طالعها وبحث عنها). (النووي، شرح صحيح مسلم، ج2، ص 210) كما أجمع جمهور العلماء على وقوع الإسراء والمعراج بالجسد والروح معاً، ولو كان الأمر مناماً لما اعترضت قريش على ذلك. من هنا يتبين فساد قول ديورانت.

المطلب الخامس: الهجرة النبوية والمجتمع المدني في قصة الحضارة.

يقول: (وعهدت قريش بتحريض إلى بعض رجالها أن يقبضوا على محمد، ولعلها عهدت إليهم أن يقتلوه، وعلم محمد بالخبر ففر هو وأبو بكر إلى غار ثور...وجاء أبناء أبي بكر لهما بجملين فركباهما في أثناء الليل واتجها بهما شمالاً). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 31)

ويقول: (إن النبي كان ينشئ حكومة مدنية في المدينة واضطر بحكم الظروف أن يخصص جزءاً متزايداً من وقته للمشاكل العملية...والأخلاق...ولشؤون الحرب، لأنه لم يكن ثمة حد فاصل بين الشؤون الدينية والدنيوية، بل اجتمعت هذه الشؤون كلها في يد الزعيم الديني كما كانت الحال عند اليهود). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 33) ويقول: (لم يسر في تشريعه على نظام مقرر، بل كان يصدر الأوامر حسبما تمليه عليه الظروف، فإذا أدى هذا إلى شيء من التناقض أزاله بوحي جديد ينسخ القديم ويجعله كأنه لم يكن). (ديورانت، 1992، ج 13، ص42)

تظهر طعونه الخفية من كلماته الموهمة، فالخطأ الأول هنا هو تعبيره عن هجرة النبي- صلى الله عليه وسلم- أنها فرار كما في النص الأول، وليس الأمر كما يدعي فهذا محض افتراء، لأن الإذن بالهجرة نزل للصحابة، ولم يؤذن للنبي فتأخرت هجرة النبي إلى حين نزول الإذن والدليل على ذلك هو حديث الهجرة. (البوطي، 1991، ص 132). قال ابن حجر: (أما النبي- صلى الله عليه وسلم- فجاء عن بن عباس أنه أذن له في الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم وذكر الحاكم أن خروجه- صلى الله عليه وسلم- من مكة كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها وجزم بن إسحاق بأنه خرج أول يوم من ربيع الأول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم به الأموي في المغازي عن بن إسحاق فقال كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال وخرج لهلال ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول قلت وعلى هذا خرج يوم الخميس، وأما أصحابه فتوجه معه منهم أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة وتوجه قبل ذلك بين العقبتين جماعة منهم بن أم مكتوم ويقال إن أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأشهل المخزومي زوج أم سلم). (ابن حجر، فتح الباري، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ج7، ص227) ثم قوله (وعهدت قريش بتحريض إلى بعض رجالها أن يقبضوا على محمد)، هذا تعميم لا يصح، لأن كفار قريش هي من فعلت ذلك؛ فالهجرة كانت لميدان جديد في الدعوة.

أما حديثه عن إقامة المجتمع الإسلامي في المدينة، وقوله بأن النبي صلى الله عليه وسلم يصدر الأوامر حسب الظروف، شأنه شأن اليهود، وعند وقع التعارض ينسخ بالوحي، فهذا كذب، فقد شهد الله جل جلاله بأن ما كان يبلغه النبي للناس هو وحي من الله، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) سورة النساء، آية 105. (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) الأحزاب، آية 36. (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)) النجم.

فأين الأحكام التي كان يصدرها النبي من مقتضى زعامته التي شبهها ديورانت بزعامة اليهود، وهو يعلم أن كل ما جاء به النبي وحي، وما جاء به اليهود كان افتراءً، قال تعالى في حق اليهود: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) البقرة، آية 79.

ثانياً: قوله بأن النسخ هو لإزالة التعارض في الأحكام، فهذا القول، إنما يصدر عن جاهل بمعرفة النسخ وأحكامه في الإسلام.

فالنسخ (هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي. ومعنى رفع الحكم الشرعي قطع تعلقه بأفعال المكلفين لا رفعه هو). (الزرقاني، مناهل العرفان، ج2، ص 176) فالنسخ ليس تعارضاً إنما هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي، ثم إن مواضع النسخ مواضع ذات عدد، وليس الأمر كما يشير ديورانت بالتعارض المطلق في الأحكام.

المطلب السادس: غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- في قصة الحضارة.

حاول ديورانت وصف جهاد النبي عليه السلام بأوصاف قتال العرب قبل الإسلام، وأنها نهب وقتل، يقول واصفاً غزوة بدر: (وحل محمد هذه المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنى وجد، ومن ذلك أنه أمر اتباعه بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة، متبعاً في ذلك ما كانت تتبعه معظم القبائل العربية في ذلك الوقت). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 34)

ويقول: (وحدثت بعدئذ -يقصد صلح الحديبية- غارة على يهود خيبر في مساكنهم الواقعة في الشمال الشرقي من المدينة. . . ودافع اليهود عن أنفسهم بأحسن ما يستطيعون). (ديورانت، 1992، ج13، ص 39) بل إنه اعتبر إخراج القبائل اليهودية نقض للعهد من طرف المسلمين، وهذا أعلى درجة الافتراء، فيقول: (حين انقلب محمد على اليهود). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 36)

لقد تجاهل ديورانت الكثير من حقائق السيرة النبوية، وهنا تجاهل أمر الوثيقة التي كتبها النبي- صلى الله عليه وسلم- مع اليهود، والتي نصت على العديد من الأمور، منها: يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم إلا من ظلم وأثِم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه، وأهل بيته. وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. (البوطي، 1991، ص151)

فلم ينقلب النبي- عليه الصلاة والسلام- على اليهود كما نص ديورانت، ولم يهاجم اليهود في بيوتهم دون سبب، فإخراجهم من المدينة كان بسبب نقض اليهود للعهد معه- صلى الله عليه وسلم- وإليك الدليل:

أولاً: يهود بني قينقاع: قال ابن إسحاق(إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- جمعهم بسوق قينقاع، ثم قال: يا معشر اليهود، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة. . . قالوا: يا محمد إنك ترى أنا كقومك؟ لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب. . . إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس). (البوطي، 1991، ص 167)

وروى ابن هاشم أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، فجعلوا يراودونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فكان هؤلاء أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. (البوطي، 1991، ص167)

ثانياً: يهود بني النضير:

في شهر ربيع الأول سنة أربع الهجرة، ذهب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فكلمهم أن يعينوه في دية الرجلين اللذين قتلهما مسلم خطأ، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، فقال عمرو بن جحاش النضري: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة، فجاء الخبر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فنهض سريعاً ووصل إلى المدينة ولحقه الصحابة، فقالوا قمت ولم تشعر، قال رسول الله: همت يهود بالغدر، فأخبرني الله بذلك. (البوطي، 1991، ص 19) فهذه الخيانة الثانية عند اليهود.

ثالثاً: يهود بني قريظة:

جاء حيي بن أخطب النضري وجلس إلى كعب القرظي فأغراه بنقض العهد، فقال كعب: ويحك يا حيي دعني، فإني لم أرَ من محمد إلا صدقاً ووفاء، ولم يزل حيي بكعب حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد، فانتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (البوطي، 1991، ص 215)

رابعاً: يهود خيبر:

أما يهود خيبر، فبعد إخراج بعض قبائل اليهود من المدينة وقتل بعضهم، قام يهود خيبر بالتحالف مع الأحزاب والقبائل العربية غير المسلمة لمهاجمة المدينة، وإثارة الفتن، لذا وجّه النبي صلى الله عليه وسلم الجيش لخيبر. (البوطي، 1991، ص243-244)

فأين انقلاب النبي على اليهود؟ هنا يظهر لنا افتراءات ديورانت التي أراد فيها تشويه السيرة النبوية، وإظهار اليهود بمظهر من يدافع عن نفسه.

المطلب السابع: زواج النبي- محمد صلى الله عليه وسلم- في قصة الحضارة.

لقد حاول ديورانت تشويه حقيقة تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم، فأسندها إلى الشهوانية وإلى عادات العرب، ثم افترى كذباً بأن النبي بعد زواجه يأتي بالوحي ليقر ذلك، يقول: (وتزوج النبي بعشر نساء، وكانت له اثنتان من السراري... وفي بداية العصور الوسطى جعلت تعدد الزوجات في نظر هؤلاء الساميين ضرورة حيوية... وكان تعدد الزوجات في نظر النبي أمراً عادياً مسلماً به لا غبار عليه، ولذلك كان يُقبل عليه وهو مرتاح الضمير). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 43)

ويقول: (يستعين بالوحي بالأغراض البشرية والشخصية، كما حدث حين نزل الوحي مؤيداً زواجه من زوجة زيد متبناه). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 43)

ليس تعدد زوجات النبي- صلى الله عليه وسلم- كتعدد زواج العرب، كما ادعى ديورانت. فالنبي تزوج وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره، وهو سن الشباب. (البوطي، 1991، ص 52) ولكن لم يؤخذ عليه- صلى الله عليه وسلم- شيئاً من الفاحشة قبل ذلك، وذلك لعصمة الله تعالى له قبل مبعثه، فلو كان الأمر كما ذكر ديورانت، فأين ذلك من شبابه عليه السلام الذي عُرف بسمو الخلق؟ ثم هل يعلم ديورانت كم كان عمر النبي -صلى الله عليه وسلم- حين عدد بين زوجاته؟

كان بما يقرب من الثالثة والخمسين من عمره. فأشار ابن إسحاق في المغازي والسير إلى أنه- صلى الله عليه وسلم- تزوج للمرة الثانية من سودة بنت زمعة بعد وفاة خديجة التي ماتت قبل هجرته بثلاث سنين. (ابن إسحاق، ص 254) فهل هذا سن الشهوة والأغراض الشخصية؟

كما تجاهل ديورانت أن من تزوجهن النبي- صلى الله عليه وسلم- من الأرامل، وصاحبات الفضل، فأين الأغراض الشخصية، ولِحِكم متعددة. أما افتراء ديورانت أنه- صلى الله عليه وسلم- كان يستغل الوحي لأغراضه الشخصية، فهذا أولاً تشكيك منه في مصدرية الوحي، فكأنه إذاً يشكك

في مصدرية القرآن، فزواجه من زينب بنت جحش كان بأمر الله تعالى، قال تعالى: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) الأحزاب، آية 37.

فكان في ذلك حُكم تشريعي للأمة، وهو حرمة التبني وجواز الزواج من زوجة المتبنَّى. من هنا يتبين فساد ما ادعاه ديورانت.

المبحث الثالث: الفلسفة الإسلامية والتصوف في قصة الحضارة.

لقد تجنى كثيراً على الفلسفة الإسلامية، الأمر الذي يدفع إلى القول بأنه كتب بطريقة أراد منها تشويه صورة الفلسفة الإسلامية.

المطلب الأول: مصادر الفلسفة الإسلامية في كتاب قصة الحضارة.

عند تتبع ما كتبه بخصوص الفلسفة الإسلامية نجده قد خلط كثيراً بين الفلسفة وعلم الكلام. كما أنه خلط بين علم الكلام والمنطق. وكل هذا أدى إلى النتائج الفاسدة التي وصل إليها. فأشار بداية إلى أن الإسلام استعار الفلسفة والطب من بلاد الشام المسيحية مما خلفته بلاد اليونان الوثنية. (ديورانت، 1992، ج13، ص197)

وهذا موقف المدرسة الغربية المعاصرة من الفلسفة الإسلامية، يقول رينان في كتابه تاريخ اللغات السامية: (ما يكون لنا أن نلتمس عند الجنس السامي دروساً فلسفية. . . وما كانت الفلسفة قد عند الساميين إلا اقتباساً صرفاً جديباً وتقليداً للفلسفة اليونانية). (مصطفى، 2007، ص14-15)

ومحور النقاش في هذه المسألة معه يكون في عدة أمور، منها:

أولاً: لو كانت الفلسفة الإسلامية هي تلك الفلسفة اليونانية الوافدة، فكيف نفسّر مخالفة الفلسفة الإسلامية لليونانية في أصول المسائل؟ مثل الإلهيات، الطبيعيات، عدا عن حديث الفلاسفة المسلمين في مسائل لم يرد لها أصلاً في الفلسفة اليونانية، كالنبوة والمعاد.

ثانياً: لقد خلط بين الفلسفة العربية والفلسفة الإسلامية، فأحياناً يعبر بالعربية، وأحياناً أخرى يعبر بالإسلامية، فاتخذ من العداء للجنس السامي وسيلة لنقد الفلسفة العربية والإسلامية كما صرّح رينان في النص السابق، ويقول أيضاً: (من الخطأ وسوء الدلالة بالألفاظ على المعاني أن نطلق على فلسفة اليونان المنقولة إلى العربية لفظ فلسفة عربية، مع أنه لم يظهر لهذه الفلسفة في شبه جزيرة العرب مبادئ ولا مقدمات، فكل ما في الأمر، أنها مكتوبة بلغة عربية). (مصطفى، 2007، ص15) وقد تتبع الدكتور مصطفى عبد الرازق المسألة وجمع فيها الأقوال، وردّ على أقوال المستشرقين. (مصطفى، 2007، ص20- 30)

ثالثاً: أقوال المنصفين من علماء الغرب في حديثهم عن الفلسفة الإسلامية، ومن ذلك قول مؤلف كتاب (تاريخ الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين) بعد ذكره لأقوال رينان، يقول: (وهذه أحكام تذهب في البت إلى حد الشطط، ومصدرها سوء التحديد للفلسفة، وجهلنا بما للعرب من مصنفات غير شروحهم لمؤلفات أرسطو، وما أسوق إلا شاهداً واحداً: فهل يظن ظان أن عقلاً كعقل ابن سينا لم ينتج في الفلسفة شيئاً طريفاً وأنه لم يكن إلا مقلداً لليونان؟). (مصطفى، 2007، ص17)

رابعاً: إذا نظرنا في مؤلفات الفلاسفة المسلمين التي كانت وما زالت مصدراً اعتمدت عليه الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، نجد أنهم ألّفوا في العديد من العلوم، وأضافوا معارف جديدة في تلك العلوم. كما ترجموا لليونان واتسمت ترجماتهم بالأمانة، وشرحوا مقولات اليونان، إلا أنهم ألفوا بالفلسفة الإسلامية تأليفاً له طابع مميز عن اليونان، فاعتمدوا على القرآن الكريم والسنة، واعتمدوا على صحيح المعقول، فأفرزوا آراء مخالفة لليونان في العديد من المسائل، وشغلت مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة حيزاً واسعاً عند الفلاسفة المسلمين.

ثانياً: إن قول ديورانت: (وكان للآراء الزرادشتية واليهودية عن الحشر والحساب بعض الأثر في الفلسفة الإسلامية). (ديورانت، 1992، ج13، ص197) فلو تساءلنا جميعاً:

- متى ظهر الإيمان باليوم الآخر في الفكر اليهودي وما صوره؟

فكما هو معروف أن اليهودية لم يكن لها حديث عن اليوم الآخر إلا بعد السبي البابلي، وتأثرها بالفرس، وحاجتها إلى الإيمان به لرفع إيمان اليهودية باليوم الموعود، لكن التوراة لا يوجد بها أي نص عن الإيمان به. وقد أشار الدكتور محمد الخطيب إلى مراحل عقيدة اليوم الآخر في اليهودية. (الخطيب، 2009، ص 171- 174) فلم يكن الإيمان باليوم الآخر من أصول الإيمان عندهم.

ثالثاً: قول ديورانت: (وقد افتتن المسلمون بالمنطق اليوناني في صورته الكاملة الواضحة التي جاء بها كتاب أورغانون -الآلة الفكرية- لأرسطو...ووجدوا فيه الأدوات التي يحتاجونها لتفكيرهم). (ديورانت، 1992، ج13، ص198)

ويقول في موضوع آخر: (وأطلقوا على هذه الجهود التي يحاولون بها التوفيق بين العقل والدين اسم الكلام أي المنطق). (ديورانت، 1992، ج13، ص199) والحديث في هذه المسألة معه في محورين:

المحور الأول: لقد خلط ديورانت بين علم الكلام وعلم المنطق، خلطاً شديداً، حتى إنه تصورهما بغير حقيقتهما، مما أدى إلى فساد تصديقه. فعلم الكلام عند الفلاسفة والمتكلمين له صورة ومفهوم خاص. فقد عرّفه الفارابي بأنه: (صناعة الكلام ملكة يَقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء

والأفعال المحدودة التي صرّح بها واضع الملّة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل). (الفارابي، إحصاء العلوم، 1991، ص41)

وأما علم المنطق كما عرّفه ابن سينا بقوله: (آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الوقوع في الخطأ في التفكير). (عزمي، مدخل إلى علم المنطق، 2015، ص9) وذهب الفارابي إلى أن المنطق جملة قوانين من شأنها أن تقوّم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق. (الفارابي، إحصاء العلوم، 1991، ص13)

المحور الثاني: ادعاء ديورانت أن المسلمين افتتنوا بالمنطق اليوناني الذي دخل من خلال الأورجانون الأرسطي ادعاء باطل، ودليل ذلك هو نقد علماء الإسلام على اختلاف مدارسهم المنطق الأرسطي، فهو منطق عقيم، يقول الإمام الشافعي: (ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس). (السيوطي، 2007 ، ص15)

ونفهم من هذا موقفه من الأرسطي، وليس المنطق عموماً، في حين نجد أن علماء الإسلام أقاموا منطقاً أصولياً كلامياً. يقول الدكتور علي النشار: (فهاجم السهروردي المنطق الأرسطاطاليسي أشد هجوم). (النشار، 1984، ص٣٠)

يقول النشار: (كانت الفكرة السائدة لدى الباحثين شرقيين وأوروبيين أن المنطق الأرسطاطاليسي قوبل في العالم الإسلامي حين تُرجم وتوالت الترجمة أحسن مقابلة...وقفت أمام هذه الفكرة بعد دراسة عميقة للمنطق الأرسطاطاليسي موقف الشك...وقد لفظ الإسلام علوم اليونان لفظاً قاسياً، وحاربها أشد محاربة). (النشار، 1984، ص١٠)

ويقول: (أما المتكلمون والأصوليون الأولون فلم يقبلوا المنطق الأرسطاطاليسي على الإطلاق، وحاولوا إقامة منطق جديد بالكلية في جوهره ووقف فقهاء أهل السنة والجماعة من المنطق الأرسطاطاليسي بل من المنطق اليوناني على العموم موقف العداوة التامة). (النشار، 1984، ص٣٠)

أما فيما يخص مدارس متكلمي الإسلام فقد بيّن النشار مدى مفارقتهم للمنطق الأرسطاطاليسي في عدة أمور، منها: نقدهم لمبحث الحد والقياس عند أرسطاطاليس، وخروجهم عن منطق أرسطو، فقد أُلفت كتب كثيرة في نقد المنطق الأرسطاطاليسي، كنقد أبي العباس المعتزلي المنطق الأرسطاطاليسي. كما ورد في مناقشة السيرافي (368هـ) لأبي بشر متى بن يونس (328هـ)، وكذا فإن أبا علي الجبائي وأبا هاشم والقاضي عبد الجبار كتبوا في نقد المنطق الأرسطي. (النشار، 1984، ص 94)

وأشار د. علي النشار إلى أن الأخذ بمنهاج إسلامي وضع أسسه علماء أصول الفقه، وتناوله المتكلمون بالزيادة، قد استمر في دوائر المتكلمين معتزلة أو شيعة أو أشاعرة بمعزل عن المنطق الأرسطاطاليسي، وكان أبرز ما فيه خلوّه من مباحث الميتافيزيقا. (النشار، 1984، ص 98)

وقد اعتبر ديورانت الإمام الغزالي هادم للفلسفة، فيقول: (ولم يكن كالغزالي – يقصد ابن سينا– في القرن الذي بعده يريد أن يقضي على الفلسفة من أجل الدين). (ديورانت، 1992، ج13، ص٢١٠)

ويُردّ هذا بأن الغزالي تناول في كتابه تهافت الفلاسفة دراسة تحليلية قائمة على النقد المستند إلى البرهان لآراء الفلاسفة في مسائل الإلهيات خصوصاً والطبيعيات والسمعيات عموماً، مشيراً إلى وجوه تهافتهم، وأن أدلتهم ليست مستوفية لشرائط الاستدلال ومناهجه. يقول الإمام الغزالي: (انتدبت لتحرير هذا الكتاب رداً على الفلاسفة القدماء، مبيناً تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم). (الغزالي، 1987، ص75) فأشار إلى مواطن مخالفة الفلاسفة، منها: الخلاف اللفظي، ومنها ما ليس مخالفاً لأصول الدين، ومنها المخالف لأصول الدين. (الغزالي،1987، ص79) فالإمام الغزالي قدم عملاً علمياً هدم فيه الآراء الفاسدة للفلاسفة، وأبان فيه بعض مخالفاتهم لمسائل في الفروع والأصول. وقد اتهم ديورانت الإمام الغزالي أيضاً بأنه شكك في كون العقل مصدراً من مصادر المعرفة، فيقول: (ليثبت أن العقل يؤدي بالإنسان إلى التشكك في كل شيء، وإلى الإفلاس الذهني، والانحطاط الخلقي، والتدهور الاجتماعي). (ديورانت، 1992، ج13، ص364) إن مثل هذا الكلام لا يخرج إلا من جاهل بمنهج الإمام ومؤلفاته، فالعقل من مصادر المعرفة عند الإمام. وقد اعتمد الإمام على العقل في بيان تهافت آراء الفلاسفة ومحاجتهم، يقول د. سليمان دنيا: (استخدم - الغزالي- العقل وحده للكشف عن قصورها وعجزها - آراء الفلاسفة- وضعفها وركتها). (الغزالي، 1987، ص24) فالإمام ينتقد المسلك العقلي الفاسد لبعض الفلاسفة موضحاً ذلك بالبرهان العقلي السليم. ولا بد من الإشارة إلى أن الإمام بيّن أنه ليس بمقدور العقل الخوض في بعض المسائل، كالغيب، يقول د. سليمان دنيا: (وسرعان ما أدرك الغزالي أن مزاولة العقل لهذه المهمة اقحام له فيما لا طاقة له به، وأن أسلوب العقل في تفهم الأمور الرياضية، لا يمكن أن تخضع له المسائل الإلهية). (الغزالي، 1987، ص56-57)

كما تعرض ديورانت في مواضع متعددة للفلاسفة المسلمين مصوراً فيها الفلاسفة المسلمين تصويراً يخرجهم من الإسلام أحياناً. فهل كان هذا جهلاً من ديورانت أم لغاية مقصودة؟ ومن ذلك اتهامه فيلسوف العرب الكندي بالنصرانية. يقول: (وقد أدهش الكندي العالم الإسلامي برسالته في الدفاع عن المسيحية). (ديورانت، 1992،ج13، ص٢٠١) وبعد البحث ومحاولة الوصول إلى ترجمة لصاحب رسالة "رسالة الدفاع عن المسيحية" تبيّن أنه عبد المسيح بن إسحاق الكندي، كاتب عربي مسيحي، عراقي، في القرن الثالث الهجري، من آثاره الرسالة التي وجهها إلى عبدالله بن إسماعيل الهاشمي جواباً على ما عرضه عليه من التدين بالإسلام. (كحالة، 1993، ج2، ص313. وقد أشار مترجم قصة الحضارة لذلك، ج13، ص٢٠١) أما صاحب الرسالة الأخرى عبدالله بن إسماعيل الهاشمي، فبالرغم من البحث في الكتب وفي شبكة الإنترنت، إلا أنني لم أجد له ترجمة. وأشار الدكتور

محمد البكري إلى أن المخطوطات للرسالتين ولدت في أوساط نصرانية، ويرجع أنهما لواضع واحد. (البكري، 1947، المجلد9، الجزء 1، ص35-36) ويقول: (لا أكون مغالياً إذا قلت إن هاتين الرسالتين قد وضعتا بعد القرن التاسع الهجري، وأريد دسهما على القرن الثالث). (البكري، 1947، ، المجلد9، الجزء 1، ص49) من هنا تبين خطأ ديورانت في نسبه الرسالة لفيلسوف العرب. كما اتّهم ديورانت الكندي بأنه انتهى إلى عقيدة الاعتزال، يقول: (وانتهى الكندي بالانضمام إلى المعتزلة) (ديورانت، 1992، ج13، ص2٠1). وقوله هذا ظاهر الفساد، ودليل ذلك ما ذكره الدكتور محمد أبو ريدة وهو محقق رسائل الكندي: (كان للكندي مقام كبير عند الخلفاء الذين أبدوا مذهب المعتزلة، ولكن لا نستطيع من أجل هذا وحده أن نقطع بأنه كان معتزلي المذهب، لأن سمو مكانته ربما كان يرجع إلى شرف نسبه وفضل علمه). (أبو ريدة، 1950، ص27)

المطلب الثالث: التصوّف الإسلامي مفهومه ومصادره في كتاب قصة الحضارة.

قدم ديورانت صورةً للتصوف الإسلامي غير صورته الحقيقية، فأرجع التصوف الإسلامي الى مصادر خارجية، فيقول: (ويرجع التصوف الإسلامي إلى أصول كثيرة: منها نزعة الزهد عند فقراء الهندوس، وغنوطسية مصر والشام، وبحوث الأفلاطونية الجديدة عند اليونان المتأخرين، وتأثير الرهبان المسيحيين الزاهدين المنتشرين في جميع بلاد المسلمين). (ديورانت، 1992، ج13، ص 214)

ما ذكره هنا هو كلام نقله عن معظم المستشرقين، لا يستند لدليل في ذلك، يقول الدكتور السيد رزق: (قام المستشرقون أوائل القرن التاسع عشر بالبحث عن مصادر للتصوف الإسلامي أجنبية عن الإسلام وخارجه عن دائرته، فردّه بعضهم إلى الثقافة اليونانية والأفلاطونية المحدثة بوجه خاص، وردّه بعضهم إلى التصوف الهندي، وبعضهم إلى الثقافة الفارسية، وأرجعه آخرون إلى الرهبنة المسيحية). (الحجر، 2004، ص16. للمزيد انظر: الشافعي، 1992، ص15)

فمثلاً بينما نجد ماكس هورتن، يقول بالأثر الهندي في التصوف الإسلامي. ولم يقدم أي دليل على ذلك، نجد من المستشرقين من رد عليه، ومن ذلك سكيمل (A. Schimmel) في قولها: (إن ماكس هورتن قد كتب مقالات عديدة جداً لإثبات هذا الأثر الهندي، لكنه لم يقدم برهاناً مقنعاً على مثل هذه التأثيرات المدعاة). (الحجر، 2004، ص18)

يقول الدكتور السيد رزق: (وإذا كانت هذه القرون قد شهدت شيئاً من الأفكار الأجنبية لدى صوفي هنا أو صوفي هناك، فإن هذه الحالات النادرة بالنسبة للجمهور الأعظم من الصوفية). (الحجر، 2004، ص24)

ويقول د. حسن الشافعي: (والرأي عندنا أن التصوف الإسلامي ظاهرة سنية نشأت بين أهل السنة والجماعة وصدرت عن أسس إسلامية). (الشافعي، 1992، ص64) وبذلك يندفع قول ديورانت.

المبحث الرابع: الأخلاق في الإسلام في قصة الحضارة.

لقد تحدث ديورانت عن الجانب الأخلاقي في الإسلام، والمصيبة العظمى التي صرح بها وكررها في عدة مواضع، هي أن القانون والأخلاق في القرآن والسنة، كما هو في العهد القديم والتلمود، وهذا القول منه هو غآية البطلان.

أولاً: يقول: (والقانون الأخلاق في القرآن، كما هما في التلمود، شيء واحد. . . وكل أمر فيهما موحى به من عند الله). (ديورانت،1992، ج 13، ص 59) ويقول: (وكان محمد يعتقد أنه ما من قانون أخلاقي يمكن أن يقع في النفوس وأن يطاع طاعة تكفل للمجتمع النظام القوة إلا إذا آمن الناس أنه منزل من عند الله، وهذه تتفق مع الأسلوب الحماسي الفخم ومع البلاغة اللذين يسموان في بعض الأحيان عن أقوال النبي أشعيا). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 51) ويرد عليه:

1 . إن الأخلاق في الإسلام تشريع من رب العالمين، وليست قانوناً تم تدوينه بعد وفاة النبي بما يقرب من خمسة قرون كما في التلمود، حيث كتب في السبي البابلي على يد أحبارهم وفق معايير أخلاقية تتناسب وحال الضعف والقهر التي كانوا بها.

2 . أين التشابه الذي يدعيه ديورانت بين أخلاق القرآن وأخلاق التلمود؟ فأخلاق التلمود تقوم على العنصرية والكراهية والقتل والنهب لكل البشر من غير اليهود، فانظر إلى بعض نصوصه:

(إن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات). (الكنز المرصود في قواعد التلمود، الكتاب الثاني-فساد الدين، الفصل الخامس، (أرواح اليهود والنصارى) (أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. فإذا ضرب أميٌّ إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية). (الكنز المرصود، الكتاب الثالث . فساد الآداب، الفصل الأول، (القريب)

(مسموح غش الأميّ، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه) (الكنز المرصود، الكتاب الثالث، الفصل الثالث، (الغش)

وأما أخلاق القرآن، فهي:

قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) الإسراء، آية 70.

وقال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) الممتحنة، آية 8.

3 . إن ما ادعاه ديورانت من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسند الأخلاق لله عز وجل حتى يلزم الناس بها، كلام فاسد يرده الدليل، فالإلزام الخلقي ورد في القرآن الكريم أوامر ونواه لله تعالى.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النحل، آية 90.

فالأمر بالفضائل، والنهي عن المنكر، إلزام خلقي بأوامر من الله جل جلاله، وبذلك يتبين فساد ادعاء ديورانت.

ثانياً: يقول: (كان محمد يتبع قوانين الحرب التي كان يتبعها المسيحيون في أيامه، ويشن الحرب على كفار قريش المسيطرين على مكة). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 67) كما أشار إلى أن الإسلام لم يدع إلى مقابلة الإساءة بالإحسان (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) البقرة 194، تلك أخلاق تليق بالرجال، شبيهة بما جاء في العهد القديم. (ديورانت، 1992، ج 13، ص 68)

إن قوله هذا محض افتراء ولا يعذرُ بأنه يجهل فقه الجهاد وأحكامه في الإسلام، لأنه يعرف عن الإسلام الكثير. فأحكام الحرب في الإسلام تشريع إلهي وليست قانوناً تم التوافق عليه. فالحرب في الإسلام كانت دعوة وفتحاً، لا للإبادة ولا للتدمير. ثم إن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب تمثلت في وصيته للجيش، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (اغْزُوا كَانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَن معهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قالَ: اغْزُوا باسْمِ اللهِ فِي سَبيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَن كَفَرَ باللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا،). (صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، ح رقم 17319)

لكن أحكام الحرب في التوراة، كانت للإبادة والتدمير، وهذا بصريح اعترافهم، جاء في قاموس الكتاب المقدس: (وكان العبرانيون عندما ينتصرون، ينهبون معسكر العدو، ويسلبون الموتى...وأحياناً كانوا يقتلون أو يشوهون الأسرى). (قاموس الكتاب المقدس، 2005، ص296) وجاء فيه أيضاً: (وكثيراً ما كانت المدن المسبية تخرَّب ويذبح سكانها، ولا يستبقى منها أحد لا بالنسبة لسنِّه ولا بالنسبة لجنسه). (قاموس الكتاب المقدس، 2005، ص297)

ورد في سفر يشوع: (وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ). (الإصحاح 6: 21)

وورد في إنجيل لوقا: (أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي). (الإصحاح، 19: 27)

فالفارق واضح لا يخفى على عاقل بين حفظ الإسلام للدماء، ومراعاته لأحوال الناس، وبين حكم الإبادة والتدمير في اليهودية.

أما قوله بأن الإسلام لم يدع إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، فالسؤال هنا: أين ديورانت من النصوص الآتية:

قال تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) الشورى، آية 40.

قال تعالى: (وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد، آية 22.

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ). (البيهقي، السنن الكبرى، بَابُ: شَهَادَةُ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ، ح 21091)

ثالثاً: يقول: (غير أن هذا الحب السامي الذي يدعو إليه الدينان – يقصد الإسلام والمسيحية- يقابله عداء شديد لغير المؤمنين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ)(ديورانت، 1992، ج 13، ص 66)

فالخطأ الذي وقع به هو:

1. مقارنته بين أحكام الإسلام وأحكام المسيحية في معاملة الآخر.
2. أخذه ببعض النصوص من القرآن الكريم مع تركه نصوصاً أخرى.

والآية التي ذكرها تنهى عن الموالاة واتخاذ النصارى واليهود أولياء، أي أحباباً وأنصاراً من دون الله، فالولاية هنا النصرة. (الرازي، 1420، ج 12، ص 384) والله تعالى أمر بالوفاء بالعقود، ومعاملة غير المسلمين كما شرع، فلهم:

1. حرية الاعتقاد، قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) البقرة، آية 256.
2. المعاملة الإنسانية الحسنة، بما فيها من صون لدماء غير المحاربين وأموالهم.

قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الممتحنة، آية 8.

ثم أين العداء الذي يتحدث عنه في ظل قوله صلى الله عليه وسلم: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، بَابٌ فِي تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، ح 3052)

في حين إذا عدنا إلى نصوص المسيحية، فنجد العداء لغير المسيحي واضحاً، فقد ورد في إنجيل لوقا: (من ليس معي فهو علي). (الإصحاح 11: 23) وورد في إنجيل لوقا أيضاً: (أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا و اذبحوهم قدامي). (الإصحاح 19: 27)

رابعاً: يقول: (ويكاد يصف النساء، كما يصفهم آباء الكنيسة المسيحية بأنهم من أكبر الشرور التي أصيب بها الرجال). (ديورانت، 1992، ج 13، ص 60)

من هذا القول يتبيّن جهله بموقف الإسلام من المرأة، علماً أن نصوص القرآن في ذلك كثيرة، قال تعالى:{وعاشروهن بالمعروف} سورة النساء: آية 19.

وقال صلى الله عليه وسلم:(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِى جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا). (صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ح رقم 5186) وهذا لا تجد له مثيلاً في عقيدة آباء الكنيسة التي استندت على نصوص العهدين حيث اعتبرت المرأة أساساً للخطيئة والشر، فجاء في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: (وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ. . . وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي). (الإصحاح 2: 11- 14) من هنا يتضح فساد قوله، فصورة المرأة في الإسلام لا تجد لها مثيلاً بالرفعة والقدر.

النتائج والتوصيات:

1 . ظهور الأثر اليهودي عند ديورانت في كل ما حاول التشكيك به في عقائد الإسلام وأخلاقه، كما أنه حاول الدفاع عن اليهود.

2 . بطلان كثير ممن ذكره حول عقائد التوحيد في الإسلام، وكذا بطلان قوله بمشابهتها لليهود، وكذا قوله بأن الجبر عقيدة القرآن والسنة.

3. شكك ديورانت بدعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وأنها بأثر يهودي ونصراني، كما أنه شكك بالوحي، وبأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده وزواجه، وأن حادثة الإسراء محض خيالٍ.

4 . طعَن ديورانت بمعظم الفلاسفة المسلمين، ونسب إليهم العديد من الآراء خطأً، كما أنه شكك بمعظم قضايا الفلسفة الإسلامية عموماً.

5 . شكك ديورانت بالتصوف الإسلامي وادّعى أنه بأثر يهودي وهندي، وكذلك شكك بالأخلاق الإسلامية وصرّح بأنها تشابه أخلاق التلمود.

6 . يوصي الباحث بدراسة موسوعة قصة الحضارة في معظم الجوانب المعرفية وخاصة الشرعية منها، والكشف عن الأخطاء والشبه الواردة فيها. وتتبع الدراسات الاستشراقية المماثلة لها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن سينا، ح. (1985). *النجاة*. (ط1). بيروت: دار الأفاق.

ابن سينا، ح. (د. ت). *الهداية*. (ط1). القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.

أبو داود، س. (2003). *سنن أبي داود*. (د. ط.). بيروت: المكتبة العصرية.

أبو ريدة، م. (1950). *رسائل الكندي الفلسفية*. (ط1). مصر: دار الفكر العربي.

أبو نعيم، أ. (1996). *المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم*. (ط 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، م. (1422). *صحيح البخاري*. (ط1). بيروت: دار طوق النجاة.

البوطي، م. (1991). *فقه السيرة النبوية*. (ط1). بيروت: دار الفكر.

البيهقي، أ. (2003). *السنن الكبرى*. (ط3). بيروت: دار الكتب العلمية.

الترمذي، م. (1975). *سنن الترمذي*. (ط2). مصر: مكتبة مصطفى الحلبي.

التفتازاني، م. (2001). *شرح المقاصد*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجليند، م. (1989). *من قضايا التصوف في القرآن والسنة*. (ط1). مصر: مكتبة الشباب.

الحجر، س. (2004). *التصوف الإسلامي بين الأتباع والابتداع*. (ط1). القاهرة: دار الهاني.

الخطيب، م. (2009). *مقارنة الأديان*. (ط2). عمان: دار المسيرة.

ديورانت، و. (1992). *قصة الحضارة*. (ط1). بيروت: دار الجيل.

الرازي، م. (1420). *مفاتيح الغيب*. (ط3). بيروت : دار إحياء التراث العربي.

السيد، ع. (2018). *الكندي رائد الفلسفة في العالم الإسلامي*. (ط1). الأردن: دار عالم الكتب الحديث.

السيد، ع. (2015). *مدخل إلى علم المنطق*. (د. ط). الأردن: عالم الكتب الحديث.

السيوطي، ج. (2007). *صون المنطق والكلام عند فنّي المنطق والكلام*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الشافعي، ح. (1992). *فصول في التصوف*. (ط1). القاهرة: دار الثقافة.

الشرقاوي، ح. (2016). *علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي*. (ط1). *بيروت*: دار الكتب العلمية.

الشرقاوي، م. (1993). *الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي*. (ط1). القاهرة: دار الفكر العربي.

الشهرستاني، م. (1968). *الملل والنحل*. (ط1). القاهرة: مؤسسة الحلبي.

عبد الرازق، م. (2007). *تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية*. (د. ط.). القاهرة: مكتبة القاهرة.

العمري، أ. (1994). *السنة النبوية الصحيحة*. (ط6). المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

الغزالي، م. (1987). *تهافت الفلاسفة*. (ط 7). مصر: دار المعارف.

الفارابي، م. (1991). *إحصاء العلوم*. (د. ط). بيروت: جميع الحقوق محفوظة.
الفارابي، م. (2016). *آراء أهل المدينة الفاضلة*. (د. ط.). القاهرة: مؤسسة الهنداوي.
الفارابي، م. (1991). *الأسئلة اللامعة والأجوبة الجامعة نشرت ضمن كتاب الملة للفارابي*. (ط2). بيروت: دار المشرق.
كحالة، ع. (1993). *معجم المؤلفين*. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
مدكور، ع. (2000). *دراسات في العقيدة الإسلامية*. (د. ط). القاهرة: دار الهاني.
النسائي، أ. (1986). *سنن النسائي*. (ط2). حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
النشار، ع. (1984). *مناهج البحث عن مفكري الإسلام*. (د. ط). بيروت: دار النهضة العربية.
نخبة من الأساتذة اللاهوتيين. (2005). *قاموس الكتاب المقدس*. (ط14). مصر: دار العائلة.
البكري، م. (1947). رسالة الهاشمي إلى الكندي ورد الكندي عليها. *مجلة كلية الآداب*، 9(1)، 35-36

References

Alquran alkarim.
Abn Sina, H. (1985). *Alnajati*. (1st Ed.). Beirut: dar al'afaqi.
Abn Sina, H. (n. d.). *Alhidayatu*. Cairo: maktabat alqahirat alhadithati
Abu Dawud, S. (2003). *Sunan 'abi dawud*. Beirut: almaktabat aleasriatu.
Abu Naeim, A. (1996). *Almusnad almustakhraj ealaa sahih al'iimam muslmi*. Beirut: dar alkutub aleilmiati.
Abu Raydata, M. (1950). *rasayil alkinadii alfalsafiati*. (1st Ed.). Egypt: dar alfikr alearabii.
Albayhaqi, A. (2003). *alsunan alkubraa. tahqiq muhamad eabd alqadir*. Beirut: dar alkutub aleilmiati.
Albikri, M. (1947). risalat alhashimi 'iilaa alkanadii warad alkanadiu ealayha. majalat *kuliyat Aladab*, 9(1), sa35-36.
Albukhari, M. (1422). sahih albukhari. Beirut: dar tawq alnajati.
Albuti, M. (1991). *fiqh alsiyrat alnabawiati*. Beirut: dar alfikri.
Aleumari, A. (1994). *alsunat alnabawiat alsahihatu*. almadinat almunawarati: maktabat aleulum walhukmi.
Alfarabi, M. (1991). *'iihsa' aleulumi*. Beirut: jamie alhuquq mahfuzatun.
Alfarabi, M. (1991). *al'asyilat allaamieat wal'ajwibat aljamieat nushirat dimn kitab almilat lilfarabi*. Beirut: dar almashriqi.
Alfarabi, M. (2016). *ara' 'ahl almadinat alfadilati*. Cairo: muasasat alhindawi.
Alghazali, M. (1987). *tahafut alfalasifati*. Egypt: dar almaearifi.
Alhajar, S. (2004). *altasawuf al'iislamiu bayn al'atbae waliabtidae*. (1st Ed.). alqahirata: dar alhani.
Alkhatibu, M. (2009). *muqaranat al'adyan*. dar almasirati.
Alnasayiy, A. (1986). *sunan alnasayiy, tahqiq eabd alfataah 'abu ghudata*. Halab: maktab almatbueat al'iislamiati.
Alnashar, E. (1984). *manahij albahth ean mufakiri al'iislami*. Beirut: dar alnahdat alearabiati.
Alraazi, M. (1420). *mafatih alghib*. Beirut: dar 'iihya' alturath alearabii.
Alsayidu, E. (2015). *madkhal 'iilaa eilm almantiqa*. Jordan: ealam alkutub alhadithi.
Alsayidu, E. (2018). *alkanadiu rayid alfalsafat fi alealam al'iislamii*. Jordan: dar ealam alkutub alhadithi.
Alshaafieii, H. (1992). *fusul fi altasawwf*. (1st Ed.). Cairo: dar althaqafati.
Alshahristani, M. (1968). *almalal walnahla. tahqiq eabd aleaziz alwakili*. (1st Ed.). Cairo: muasasat alhalbi.
Alsharqawi, H. (2016). *ealm muqaranat al'adyan fi alturath alfikrii al'iislamii*. Beirut: dar alkutub aleilmiati.
Alsharqawi, M. (1993). *aliatijahat alhadithat fi dirasat altasawuf al'iislamii*. (1st Ed.). Cairo: dar alfikr alearabii.
Alsuyuti, J. (2007). *sawn almantiq walkalam eind fnny almantiq walkalami*. Beirut: dar alkutub aleilmiati.
Altiftazani, M. (2001). *sharh almaqasidi*. Beirut: dar alkutub aleilmiati.
Aljilinda, M. (1989). *min qadaya altasawuf fi alquran walsunati*. (1st Ed.). Egypt: maktabat alshabab.
Altirmidhi, M. (1975). *sunan altirmidhi. tahqiq 'ahmad shakiri*. Egypt: maktabat mustafaa alhalbi.
Aiuranti, W. (1992). *qisat alhadarati*. Beirut: dar aljil.
Eabd alraaziq, M. (2007). *tamhid litarikh alfalsafat al'iislamiati*. Cairo: maktabat alqahirah.
Kahalati, E. (1993). *muejam almualifina*. Beirut: muasasat alrisalati.
Al-Bukhari. M. (1422). *Sahih Al-Bukhari*. Beirut. Dar Touq Al-Najat.
Madkur, E. (2000). *dirasat fi aleaqidat al'iislamiati*. Cairo: dar alhani.
Nukhbat min al'asatidhat allaahutiina. (2005). *qamus alkitaab almiqdasi*. Egypt: dar aleayilati.